



بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرضائي

تفريغ دروس (جوامع الأخبار)

شرح الشيخ

(أبي عبادة محمود الراعوش)

حفظه الله

الدرس رقم (4)

التاريخ: 05/ذو القعدة/1440 هـ

08/تموز/2019 م

الدرس الرابع من جوامع الأخبار

ملخص الدرس.

اشتمل هذا الدرس على:

- تتمة شرح الحديث الخامس وفيه:
- مسألة: كيف يحقق المسلم الاستقامة في نفسه.
- مسألة: المؤمن المستقيم ليس معصوما.
- وشرح الحديث السادس: وهو: 'المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، وفيه:
- أن المراد الكمال الواجب في الإسلام والإيمان والهجرة والجهاد.
- الرد على الخوارج والمرجئة.
- وشرح الحديث السابع: وهو في خصال النفاق الأصغر. وفيه:
- معنى النفاق لغة وشرعا.
- وأنه في الشرع نفاقان: أصغر وأكبر، وتعريف كل نوع وحكمه.
- أن موضوع هذا الحديث في النفاق الأصغر.
- وشرح الحديث الثامن: في وسوسة الشيطان في العقيدة وغيرها. وفيه:
- أنه حديث جامع في علاج وسوسة شيطان الإنس والجن في العقيدة وغيرها.
- أن النبي عليه الصلاة والسلام أرشد إلى علاج الوسوسة بثلاثة أمور: الانتباه، والاستعاذة، والإيمان.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه،
أما بعد..

فهذا هو **الدرس الرابع** من شرح 'جوامع الأخبار'،

ونكمل شرح الحديث الخامس،

وهو قوله ﷺ: **" قل آمنت بالله ثم استقم "** وقد بقيت فيه مسألتان:

مسألة: - كيف يحقق المسلم الاستقامة في نفسه؟ وما السبيل إليها؟

قال أهل العلم؛ إن ذلك يكون باستقامة القلب، ثم باستقامة اللسان. فإن القلب مَلِكٌ جميع الجوارح، واللسان نائبه على الجوارح.

وإن أعظم ما تكون الاستقامة باستقامة القلب، فإذا صلح القلب صلحت الجوارح كما جاء في حديث النعمان بن بشير الذي فيه: "...، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ " ¹

فإن القلب مَلِكٌ الأعضاء، منه تصدر الأوامر للجوارح بالإيمان أو الكفر، وبالطاعة أو العصيان، فإذا استقام القلب على الإخلاص لله، ومحبته وخشيته، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه؛ انقادت له الجوارح.

ولهذا فقد أرشد النبي ﷺ إلى إصلاح القلب في أحاديث كثيرة؛ منها:

١. حديث: **" وإن في الجسد مضغة.. " الذكور أنفا.**

٢. ومنها قوله ﷺ: **" التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات "** ²

وزاد في رواية لمسلم: **"إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ"** وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. ³

فالمراد أن أصل التقوى في القلب؛ من إخلاص النوايا له سبحانه، وتعظيمه وخشيته ومراقبته

¹ الحديث (متفق عليه: البخاري ٥٢، مسلم ١٥٩٩).

² (مسلم ٢٥٦٤).

³ (مسلم ٢٥٦٤/٣٣).

ومحبته، وإفراده في ذلك كله، فإذا وُجِدَت التقوى في القلب استقام القلب؛ فتستقيم الجوارح. وأعظم سبيل لاستقامة القلب: الدعاء والعلم النافع وعمل الصالحات.

فعليك بالدعاء، فإن الأمر كله بيد الله سبحانه، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. ولذلك فقد علّمنا ربنا سبحانه أن نقول: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ في كل ركعة، وهذا

دعاء عظيم جامع، ويحتاجه العبد في كل شأن من شؤونه، فإنه يشتمل على الدعاء بهداية القلب واستقامته، وهداية الجوارح واستقامتها، في شؤون الدين والدنيا.

ومن دعاء النبي ﷺ أنه كان يكثر أن يقول «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ».

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»¹

وكان يقول: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"،

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»²

ثم إن أعظم ما تكون الاستقامة في الجوارح باستقامة اللسان؛ لأنه ترجمان القلب، ونائب القلب على الجوارح، فاللسان يغرف من القلب، فيؤاخذ المرء بما يقوله لسانه في كل لفظة، ثم سائر الأعضاء تتبع اللسان.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَفَعَهُ قَالَ: "إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا"³
قوله: "تُكْفِّرُ اللِّسَانَ" أي؛ تذلل له وتخضع.

¹ أخرجه أحمد: ١٢١٠٧، والترمذي: ٢١٤٠، ٣٥٢٢،

² (مسلم ٢٦٥٤).

³ (الترمذي ٢٤٠٧، وأحمد ١١٩٠٨).

فالاستقامة مرتبطة باللسان بعد القلب، ولذلك جاء في رواية الترمذي لحديث الباب - أي هذا الحديث الخامس - أن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: **قلت يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هَذَا»**¹.

وفي حديث معاذ الطويل، قال له الرسول ﷺ في آخر الحديث: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَكٍ ذَلِكَ كُلُّهُ؟» فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: " تَكَلَّمْتَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ " ².

وجاء عنه ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» ³.

المسألة الأخيرة: المستقيم ليس معصوماً.

مع أن العبد مأمور بالاستقامة لأن فيها صلاح أمره؛ فإنه معرض للمعصية، فلا بد أن يزل المؤمن ويخطيء.

قال النبي ﷺ: " لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا لَهُمْ " ⁴ وليس هذا تهوينا من شأن الذنب؛ لكن حتى لا يقنط المسلم من رحمة ربه إذا وقع في المعصية، لأن المؤمن ليس معصوماً من المعصية، وحتى يعلم أن باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها، وما لم يُغرغر.

ولذلك قال تبارك وتعالى: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا لَهُ ﴾ ⁵، قال السعدي رحمه الله في تفسيرها: (ولما كان العبد، -ولو حرص على الاستقامة- لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير بمأمور، أو ارتكاب منهي، أمره بدواء ذلك بالاستغفار المتضمن للتوبة فقال: { وَاسْتَغْفِرُوا } ثم توعد من ترك الاستقامة فقال: { وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ }). انتهى.

¹ - (أخرجه الترمذي ٢٤١٠)

² رواه أحمد: (٢٢٠١٦)، والترمذي: (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى: (١١٣٣٠).

³ أخرجه أحمد: (١٣٠٤٨)، وانظر الصحيحة للألباني: (٢٨٤١).

⁴ (مسلم ٢٧٤٨).

⁵ [فصلت: ٦]

وقال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" عند شرح الحديث الواحد والعشرين: (وَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: { فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ } [فصلت: ٦] إِمَارَةً إِلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي الْإِسْتِقَامَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا، فَيَجْبُرُ ذَلِكَ بِالِاسْتِغْفَارِ الْمُقْتَضِي لِلتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ، فَهُوَ كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمُعَاذٍ " أَتَقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا "). انتهى.

فالمؤمن يحرص على الاستقامة، فإن زلَّ وأذنب تاب واستغفر ولا يُصرَّ، فلا يضره الذنب ويبقى مستقيماً على الصراط إن شاء الله.

وهكذا، فهذا الحديث: " **قل آمنت بالله ثم استقم** ": جامع مانع، قد استوعب الشريعة كلها.

« شرح الحديث السادس »

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ¹، وَزَادَ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ: «وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»² وَزَادَ الْبَيْهَقِيُّ: «وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ»³).

الشرح:

هذا الحديث من جوامع الكلم، من عمل به فاز ونجا، لأنه أرشد إلى اجتناب كل شر مما يأكل الحسنات ويمحقها، من المعاصي في حق الله أو في حق خلقه. فالحسنات لها آفات تُفنيها، ومن ذلك؛ مبطلات الأعمال من الشرك والرياء والسمعة، ومن ذلك

¹ أخرجه البخاري: - برقم (١٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص. - و برقم (١١) عن أبي موسى الأشعري؛ الشطر الأول منه، - و برقم (٦٤٨٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ الشطر الأول منه. وأخرجه أيضاً مسلم: - برقم (٤٠) عن جابر؛ الشطر الأول منه - و برقم (٤١) عن جابر؛ الشطر الأول منه. - و برقم (٤٢) عن أبي موسى الأشعري؛ الشطر الأول منه.

فالحديث متفق عليه من رواية أبي موسى الأشعري، الشطر الأول منه.

² أخرجه الترمذي: (٢٦٢٧)، والنسائي: (٤٩٩٥)، وأحمد: (٨٩٣١)، وابن ماجه: (٣٩٣٤)، وابن حبان: (١٨٠)؛ كلهم عن أبي هريرة.

³ أخرجه أحمد: (٢٣٩٥٨)، (٢٣٩٦٥)، والترمذي: (١٦٢١)، والنسائي في "الكبرى": (١١٧٩٤)، وابن حبان: (٤٦٢٤)؛ والبيهقي في "شعب الإيمان": (١٠٦١١)، كلهم عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

المعاصي عموماً؛ كظُّلم الخلق، فكل مظلوم سيأخذ حقه من هذه الحسنات التي سلمت من مبطلات الأعمال.

فمن عمل بهذا الحديث فقد أَمِنَ هذا الباب الخطير، فيأمن ألا يكون من المفلسين الذين يأتون بحسنات عظيمة ثم يقدمونها إلى الغرماء الذين اعتدى عليهم في الدنيا، باللسان أو باليد أو غير ذلك، في دمائهم أو أعراضهم أو أموالهم.

فدلَّنا رسول الله ﷺ، الرحيم بنا، إلى سبيل النجاة، أرشدنا بكلام موجز بليغ كيف نحقق ذلك، كيف نحافظ على هذه الحسنات من تلکم الآفات؛ فقال: **"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"**، وقال: **"والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"**، وقال: **"المؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم"**، وقال: **"والمجاهد من جاهد نفسه"**.

والمقصود من هذه الأحاديث: ذِكر الكمال الواجب الذي لا يجوز إنقاصه، وليس المقصود نفي الإسلام كله.

وذلك أن الإيمان منه أصل الإيمان، ومنه كمال الإيمان الواجب، ومنه كمال الإيمان المستحب.

- أصل الإيمان: وهو أقلُّه، والذي بذهابه يذهب الإيمان كله، فلا يبقى منه شيء.
 - وكمال الإيمان الواجب: الذي إذا نقص أثم العبد؛ هذا يشمل أصل الإيمان ويزيد عليه بأداء الواجبات واجتناب المحرّمات.
 - وكمال الإيمان المستحب: وهو ما زاد عن الواجب من المندوبات والورع وترك ما فيه شبهة؛ وهذا يُستحب تكميله، ولا يَأثم العبد بنقصه.
- وهذا الحديث في الكمال الواجب؛ في الإسلام والإيمان والهجرة والجهاد.
- وقد بيّن النبي ﷺ فيه معنى "كمال الإسلام الواجب" و"كمال الإيمان الواجب"، و"كمال الهجرة الواجب" و"كمال الجهاد الواجب".

قال ابن الملقّن في 'التوضيح':

(فمعنى قوله - ﷺ - : "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" المسلم الكامل الجامع لخصال

الإسلام، من لم يؤذ مسلماً بقولٍ ولا فعلٍ، وكذلك المهاجر الكامل، فأعلم المهاجرين أن يهجروا ما نهى الله عنه، ولا يتكلموا على هجرتهم.

ويحتمل أنه قال ذلك لما شق فوات الهجرة على بعضهم، فأعلمهم أن هذا هو المهاجر المطلوب الكامل). انتهى كلامه من "التوضيح لشرح الجامع الصحيح"¹

فالمراد؛ أن المسلم الحق هو الذي اكتمل إسلامه الواجب، وأن المؤمن الحق هو الذي اكتمل إيمانه الواجب، وقد يزيد على ذلك.

ولا يكتمل إسلام المسلم حتى يسلم المسلمون من لسانه ويده، لأن دم المسلم وعرضه وماله حرام، فإذا اعتدى على شيء من ذلك فإنه يآثم ويكون إسلامه ناقصاً. وليس الأمر محصوراً في اليد واللسان؛ ولكن لما كان أكثر الظلم يقع بسبب هاتين الجارحتين؛ خصهما بالذكر، وإلا فالفرج والرجل والعين والأذن والبطن وغير ذلك يقع منه ظلم للمسلمين.

• وهكذا قل في الإيمان:

فلا يكتمل إيمان المؤمن حتى يأمنه الناس على دماءهم وأموالهم وأعراضهم، هذا لعظم شأن الأمانة، ولعظم حقوق الناس، قال ﷺ: "لا إيمان لمن لا أمانة له".²

• وهكذا قل في الهجرة:

فالهجرة الخاصة؛ هي "ترك بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام تعبدًا لله".

والهجرة ثوابها عظيم، ولكن لا يجوز أن يتكلم المهاجر على هجرته الخاصة، لأنه لا يحقق كمال الهجرة الواجب حتى يهجر كل ما نهى الله عنه.

قال الحافظ ابن رجب في "فتح الباري": (١ / ٣٩) عند شرح الحديث العاشر: (فأصل الهجرة: أن

¹ - لابن الملقن: (٢ / ٤٩١)، وانظر "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" للبدر الدين العيني: (١ / ١٣٢)، وانظر شرح النووي على مسلم: (٢ / ١٠)، و"إكمال المعلم" للقاضي عياض: (١ / ٢٧٦).

² - أخرجه أحمد: (٢٣٨٣)، (١٢٥٦٧)، وابن أبي شيبة في "الإيمان" (٧)، وفي "مصنفه": (٣٠٣٢٠)، والبيهقي في "الكبرى": (٧٢٨١)، (١٢٩٦٠)، (١٨٨٥٠١). كلهم من حديث أنس رضي الله عنه. وصححه الألباني في "المشكاة": (٣٥).

يهجر ما نهاه الله عنه من المعاصي، فيدخل في ذلك هجران بلد الشرك رغبة في دار الإسلام، وإلا فمجرد هجرة بلد الشرك مع الإصرار على المعاصي ليس بهجرة تامة كاملة، بل الهجرة التامة الكاملة: "هجران ما نهى الله عنه"، ومن جملة ذلك هجران بلد الشرك مع القدرة عليه) انتهى كلامه.

• وهكذا قل في المجاهد:

فلا يكتمل جهاده. ولو جاهد المشركين بسيفه. حتى يجاهد نفسه وهواه في طاعة الله، فإن مجاهدة النفس وحبسها على طاعة الله من الجهاد، حتى يحملها على الاستقامة على أمر الله ونهيه، وذلك بامتنال المأمور واجتناب المحذور.

وأشرف مقامات الجهاد هو الجهاد بالسيف، وقال بعض العلماء: هو الجهاد بالعلم. ولكن لا يكتمل جهاده حتى يمتثل المأمور ويجتنب المحذور، قال سفيان الثوري: (ليس عدوك الذي إن قتله كان لك به أجر، إنما عدوك نفسك التي بين جنبيك، فقاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك)¹ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَمَنْ سَأَلَهُ عَنِ الْجِهَادِ: (أَبْدَأْ بِنَفْسِكَ، فَجَاهِدْهَا، وَأَبْدَأْ بِنَفْسِكَ، فَاغْزُهَا).²

وقد ذكر الرسول ﷺ في هذا الحديث ضابط كمال كل خصلة من هذه الخصال، بتعبير سهل واضح جامع كما ترى.

ويؤكد هذا المعنى الذي تبين لكم ويوضحه؛ الروايات الأخرى للحديث، وهي في الصحيح؛ فقد أخرج البخاري (١١)، ومسلم (٤٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» قولهم: (أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ): أي؛ يسألون عن كمال الإسلام الواجب.

وأخرج مسلم (٤٠) عن عبد الله بن عمرو قال: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟

¹ - ذكره ابن بطال في شرح البخاري (١/ ٢١٠).

² - ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم: (١/ ٤٨٩).

قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»؟ قوله: (أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ) يسأل عن الإسلام الواجب.

فتبين لنا من هذه الأحاديث:

- أن المقصودَ تحقيقَ الكمال الواجب، وليس المقصود نفْي كل الإسلام ولا كل الإيمان، فالمسلم الكامل الجامع لخصال الإسلام هو أفضل المسلمين وخير المسلمين، وهو من لم يؤذ مسلماً بقول ولا فعل كما تقدم، وهذا هو الإسلام الواجب، ومثله الإيمان الواجب، وكذا الهجرة الواجبة، والجهاد الواجب.

- ومن فوائد هذا الحديث أيضاً:

أن فيه ردّاً على المرجئة، وذلك أن الإسلام والإيمان يزيد وينقص، فمن لا يسلم المسلمون من لسانه ويده فهو مسلم ناقص الإسلام، ومن لا يأمنه الناس على دماءهم وأموالهم ناقص الإيمان.

والبخاري رحمه الله ردّ على المرجئة من خلال أبوابه التي بوبها في كتاب الإيمان وذكر فيها هذا الحديث وغيره.

- وأيضاً في هذا الحديث ردٌّ على الخوارج: وذلك لأن الخوارج أيضاً يقولون الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

وفيه ردٌّ عليهم من وجه آخر وهو:

أن من نقص إسلامه وإيمانه فإنه لا يكفر، لأن أصل الإيمان عنده، ولكن المراد نفْي الكمال الواجب عنه كما تبين لنا آنفاً، فيأثم ولا يكفر.

« شرح الحديث السابع »

قال المؤلف رحمه الله:

(عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» متفق عليه).¹

الشرح:

النفاق مرض في القلب، وهو داء خطير قد يموت القلب بسببه إذا استحوذ على القلب ولم يدع اسبابه، ومادة النفاق الكذب، فالكذب أقوى أسباب النفاق، لأن النفاق في حقيقته كذب، إما بالقول أو بالاعتقاد، أو بالفعل.

فالنفاق في اللغة هو: "أن يُظهر المرء خلاف ما يُبطن".

وفي الشرع هو: "أن يُظهر الخير ويُبطن الشر".

وهذا التعريف يشمل النفاق بنوعيه؛ الأكبر والأصغر، لأن النفاق في الشرع نفاقان:

• النفاق الأكبر: وهو (نفاق التكذيب).

وحقيقته: "أن يعتقد الكفر ويظهر الإسلام"؛ فهذا الصنف خارج عن ملّة الإسلام إما أصالة أو

ردّة، وهم في الدرك الأسفل من النار، وكانوا في المدينة في زمن النبي ﷺ، وكانوا يخفون نفاقهم،

ولا يزالون إلى يومنا هذا، لكنهم اليوم لا يخفون أنفسهم وذلك بسبب ضعف الإسلام، وهم ممن

ينتسب إلى المسلمين اليوم ممن ينادي بالدولة المدنية وتنحية الدين عن الحكم، وينادون

بالعلمانية، وبالديمقراطية، ومنهم الرافضة، والقرآنيون، ودعاة تحرير المرأة... وغير ذلك.

• النفاق الأصغر: وهو (نفاق العمل)..

وحقيقته: "أن يتّصف المسلم بإحدى صفات المنافقين من حيث العمل"، وليس من حيث

¹ - أخرجه البخاري (٣٤) بهذا اللفظ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، واتفق الشيخان على روايته عن عبد الله بن عمرو، بلفظ: "إذا وعد أخلف" بدل "إذا أُوتِمِنَ خان"؛ البخاري (٢٤٥٩، ٣١٧٨)، ومسلم (٥٨). واتفق الشيخان أيضا على روايته عن أبي هريرة، بلفظ: "آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُوتِمِنَ خان" البخاري (٣٣)، ٢٦٨٢، ٢٧٤٧، ٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩).

الاعتقاد. وهذا النفاق لا يُخرج من الملة، ولو اجتمعت فيه جميع خصال المنافقين العملية. أما إذا اعتقد النفاق فيقع في "نفاق التكذيب"، وهو؛ (أن يعتقد الكفر ويُظهر الإسلام)؛ فهذا خارج من الملة عند الله، ولكنه يُعامل معاملة المسلمين في الدنيا ما لم يُظهر ناقضا من نواقض الإسلام.

هذا هدي نبينا ﷺ في معاملة المنافقين، قال كعب بن مالك رضي الله عنه عن المنافقين يوم تبوك: (فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيّتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله).¹

وموضوع هذا الحديث عن النفاق الأصغر،

أما قوله ﷺ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا"؛ أي كان منافقا خالصا في هذه الخصال المذكورة فقط، وليس المقصود النفاق الأكبر.

قال القاضي عياض: (ومعنى: "كان منافقا خالصا": أي في هذه الخصال المذكورة في الحديث فقط، لا في نفاق الإسلام العام، ويكون نفاقه في ذلك على من حدّثه ووعد، وائتمنه، وخاصمه، وعاهده من الناس، لا أنه منافق على المسلمين بإظهار الإسلام وهو يُبطن خلافه) انتهى²

وذكر النبي ﷺ في هذا الحديث بعض خصال النفاق الأصغر وليس كلها، فاكتمى بذكر البعض عن الكل لأنها كثيرة مبثوثة في الكتاب والسنة.

وهذا أسلوب من أساليب الإيجاز، ولعل هذا الحديث يُعدّ من جوامع الكلم بهذا الاعتبار، وأيضا هذه الخصال المذكورة جامعة لمفردات لا تحصى من أعمال النفاق، فهو حديث جامع بهذا الاعتبار أيضا.

وهذه الخصال المذكورة في الحديث خمس خصال:

● الخصلة الأولى: قال ﷺ: "إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ".

فالخائن لا يكون مؤمنا، كما قال ﷺ: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ"³

ومن لا يُؤْتَمَنَ على دينه خائن لله ورسوله، وهذه أعظم أنواع الخيانة؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁴

¹ - البخاري: (٤٤١٨)، ومسلم: (٢٧٦٩).
² - من "إكمال المعلم بفوائد مسلم": (٣١٤ / ١).
³ - (تقدم تخريجه).
⁴ - [الأنفال: ٢٧]



قال ابن عباس: (لا تخونوا اللهَ بترك فرائضه والرسولَ بترك سننه وتخونوا أمانتكم).

فهذه خصلة من النفاق: كمن يترك فريضة، أو يترك الاتّباع.

وأیضا من لا يؤتمن على أعراض الناس ولا دمائهم ولا أموالهم ولا حقوقهم التي يأتمنونه عليها؛ فهذا خائن وفيه شعبة من النفاق حتى يدعها.

وهذه الجملة جامعة لجميع الفرائض والحدود والحقوق التي لله والتي لخلق الله.

● الخصلة الثانية: قال في رواية مسلم "وإذا وعد أخلف".

وهو أن يعد وهو يحدث نفسه أن يخلف، أو أن ينوي أن يفِي ثم يخلف بلا عذر. هذا هو ضابط إخلاف الوعد المذموم.

أما إذا أخلف الوعد لعذر فلا شيء عليه، وكثير من الناس اليوم إذا أخلف معه أخوه الوعد رماه بالنفاق على الفور؛ من غير أن يتثبت من عذره! وهذا ظلم منه لأخيه.

وأسوأ أنواع إخلاف الوعد: إذا كان مع الله، فيعاقبه الله بالنفاق في قلبه.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْقِبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾¹

والمقصود: أنه زادهم نفاقا فوق نفاقهم، وجعله في قلوبهم إلى يوم القيامة، فحرّمهم التوبة من النفاق. فإخلاف الوعد مع الله سبب للحرمان من التوبة، والعياذ بالله.

وذلك أنهم كانوا وعدوا الله لأن أغناهم أن يتصدقوا، فكذبوا وأخلفوا الله ما وعدوه.

● الخصلة الثالثة: قال ﷺ: "وإذا حدث كذب".

الكذب في اللغة: هو "الإخبار بخلاف الواقع".

والنفاق في اللغة: هو "أن يُظهر المرء خلاف ما يُبطن".

فأنت ترى أن النفاق كذب في الحقيقة، والكذب نفاق أيضا، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

لَكَاذِبُونَ﴾²، فالكذب مادّة النفاق وأساسه وماؤه الذي يُغذّيه، ولا يزال الكذب يُنبِتُ النفاق في

القلب حتى يكبر ويستحوذ على القلب، حتى يصير هذا القلب يحب الكذب ويتحرّاه ويتلذذ به.

¹ - [التوبة: ٧٧]

² - [المنافقون: ١]



والعياذ بالله. وهذا يقود صاحبه إلى النار والعياذ بالله، كما قال رسول الله ﷺ: "وَيَاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا".¹

والمقصود من هذه الأحاديث: الكذب في الحديث، أي الكذب على الناس، أما الكذب على الله فله شأن آخر، وله نصوص أخرى، فهذا لا يُفلح أبدا، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾²

فهذا أقبح أنواع الكذب، ومثله الكذب على رسول الله ﷺ، فقد قال عليه السلام: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»³

● الخصلة الرابعة: قال ﷺ: "وإذا عاهد غدر".

العهد هو: "حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال"⁴
والغدر عند أهل اللغة: "ترك الوفاء".

ونقض العهد من الغدر، وهو من علامات النفاق وأسبابه، والوفاء بالعهد واجب مع الله ورسوله ومع المسلمين ومع الكفار؛ محاربين وغير محاربين، فهو واجب مع جميع الناس. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾⁵، ويدخل في العهود: الشروط التي بين المسلمين والعقود والاتفاقيات، والمكتوب من العهود يسمى ميثاقا.

وقد أثنى الله على الذين يوفون بالعهد فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾⁶، قال الشيخ السعدي في تفسيرها: (وكذلك العهد، شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد عليه الخلق، فإن العهد يسأل عنه العبد، هل قام به ووفاه، أم رفضه وخانه فلم يقم به).

1 - (البخاري: ٦٠٩٤)، (مسلم: ٢٦٠٧).

2 - [يونس: ٦٩]

3 - متفق عليه منواتر.

4 - (قاله صديق حسن خان في تفسيره المسمى 'فتح البيان في تبیین مقاصد القرآن' (١/ ١١٦) عند تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} [البقرة: ٢٧])

5 - [الإسراء: ٣٤]

6 - [المؤمنون: ٨]، [المعارج: ٣٢]

● الخصلة الخامسة: قال ﷺ: "وإذا خاصم فجر" ..

فَجَرَ: أي "مال عن الحق إلى الباطل".

والفجور عند الخصومات وعند النزاعات علامة على النفاق، وذلك أن المنافق إذا تخاصم وتنازع مع أخيه على حقٍّ من الحقوق فإنه يفجر بقول أو بفعل، أي يخرج عن الحق ويميل عنه إلى الباطل، فيخاصم بالباطل ليُثبِت باطلا، أو يُبطل حقا؛ وهذا نفاق والعياذ بالله، وهذا كثير في زماننا.

قال ﷺ: "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"¹؛ فأخبر الرسول أن الذي يجادل ويخاصم بالباطل ليدفع به الحق، هذا أبغض الناس إلى الله.

وكثير من المسلمين اليوم على هذه الصفة الخبيثة؛ إذا خاصم فجر! ولذلك ترون أن القضايا في المحاكم تستمر لسنوات عديدة.

وأيضا ترون النزاعات عظيمة بين طلاب العلم، وبين الأزواج، والشركاء، والأشقاء، وكثير من الخلطاء؛ وهذا كله راجع لهذه الخصلة؛ "إذا خاصم فجر"، يعني "مال عن الحق إلى الباطل"، وهذا نفاق في القلب، فتنبهوا لهذا أيها الكرام واحذروه.

أما ما جاء في رواية عند مسلم (٥٩): "وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم"، فالمراد أن إسلامه ناقص وليس كاملا، فهو مسلم منافق، وليس المراد أنه يخرج من الملة، بل المراد أن إسلامه ناقص.

وصفات المنافقين أكثر من هذه الخصال الخمس، وقد ذكر الله جل وعز الكثير منها في القرآن، وذكر في القرآن صفات المنافقين النفاق الأكبر، منها ما ذكر في أوائل سورة البقرة في ثلاث عشرة آية؛ من الآية الثامنة إلى الآية العشرين منها، وأيضا ذكر خصالهم في سورة آل عمران، والأنفال، والتوبة، والأحزاب، والفتح، والمنافقون وغيرها.

ومن تلك الصفات . على سبيل المثال :- الرياء، والكسل عن الصلاة، والإعراض عن الجهاد، ونَقَرُ الصلاة، وإخراجها عن وقتها بغير عذر، والتخلف عن الجماعة، والأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، والاستهزاء بالدين وأهله، وموالاتة الكفار لأجل الدنيا؛ أي بغض المؤمنين ومحبة

¹ - متفق عليه، البخاري: (٢٤٥٧، ٤٥٢٣، ٧١٨٨)، ومسلم: (٢٦٦٨)

الكفار طمعا في الدنيا، ونصرة الكفار طمعا في الدنيا، وغيرها الكثير.
فالواجب الحذر من هذه الصفات الخبيثة، صفات المنافقين، فإنها سبب في إنبات النفاق في القلب، أو علامة على وجوده فيه.

فهذا الحديث جامع لصفات المنافقين الخبيثة الواجب اجتنابها، وليست محصورة فيما ذكر فيه فقط، بل يدخل فيها ما كان مثلها مما ورد أنه من خصال المنافقين.

« شرح الحديث الثامن »

قال المؤلف رحمه الله:

(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهْ»¹. وفي لفظ «فليقل: آمنت بالله ورسله»² متفق عليه. وَفِي لَفْظٍ «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟»³).

الشرح:-

هذا حديث صحيح بروايات متعددة، كلها في الصحيحين، وهو حديث جامع لما يردّ كيدَ شياطين الجن والإنس.

فالحديث جامع لردّ جميع أنواع الوسوسة في هذه المسألة وفي غيرها.
وساق المؤلف رحمه الله لنا ثلاث روايات انتقاها بعناية، لغاية يريدّها؛ وذلك أن كل رواية فيها علاجٌ من وسوسة الشيطان؛ شيطان الجن، وشيطان الإنس.

¹ - متفق عليه من حديث أبي هريرة عند البخاري: (٣٢٧٦)، ومسلم: (١٣٤، ١٣٥) بلفظ: "من خلق ربك" عندهما، ولفظ: "من خلق الله" عند مسلم: (١٣٥).

² - أخرجه مسلم (٢١٣/١٣٤).

³ - أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة: (٢١٢/١٣٤)، (١٣٥)، (٢١٥/١٣٥)، (٢١٦/١٣٥).
واتفق عليه الشيخان من حديث أنس: البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٦).

ويكون ذلك بثلاثة أمور، ذكرها الشيخ السعدي رحمه الله في شرحه "بهجة قلوب الأبرار"، وقد استنبطها من الروایتين الأولى والثانية، وهي: الانتهاء، والتعوذ، والإيمان:

■ الانتهاء والتعوذ: لقوله ﷺ: **"فليستعذ بالله ولينته"**.

■ والإيمان: لقوله ﷺ: **"فليقل آمنت بالله ورسله"**.

■ ويُستفاد أيضا من الرواية الثالثة التي ساقها المؤلف: ترك السؤال عما لا ينفع، لقوله ﷺ: **"لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا من خلق الله"**، وهذا فيه ذمٌ للسؤال عما لا ينفع.

وقد بَوَّب البخاري على هذه الرواية بقوله: (باب ما يُكره من كثرة السؤال، وتكُلف ما لا يعنيه). فهذا علاج وقائي لهذا المرض؛ فإن ترك هذا السؤال من أصله علاج لهذا المرض قبل وقوعه، فالواجب عدم الالتفات إليه، لأنه سؤال باطل، فقد نُهينا عن تكُلف ما لا يعيننا، ونُهينا عن السؤال عما لم نُكَلَّف به.

ومن ذلك؛ أننا نُهينا عن التَّفَكُّر في ذات الله، وأُمرنا بالتَّفَكُّر في أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، ومخلوقاته، وأن نعبد بمقتضى ذلك، فعلى أن نهتدي بهدي السلف الصالح في فقه السؤال، وفيما نسأل عنه، فلا يجوز أن نتكَلَّف أسئلة في العقيدة لم يسألها السلف الصالح، سيما مسائل الغيب والقدر وكيفية الذات وكيفية الصفات.

والصحابه رضي الله عنهم لم يسألوا هذا السؤال، إنما ألقاه الشيطان عليهم فأنكروه وتعاضموا أن يسألوه كما سيأتي.

فقول النبي ﷺ: **"لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا من خلق الله"**؛ هذا فيه ذمٌ لكثرة

الأسئلة التي لا نفع فيها، ولم نُكَلَّف بها، فالواجب ترك هذا السؤال.

وإنما يُلقيه في قلب العبد الشيطان، لقوله ﷺ: **"يأتي الشيطان أحدكم فيقول..."** فهذا سؤال شيطاني، ولذلك بَوَّب عليه البخاري عند الحديث (٣٢٧٦) قال: (باب صفة الشيطان وجنوده).

فهذه أسئلة شيطانية، وهذا سؤال مصدره من الشيطان؛ إما شيطان الجن، وإما شيطان الإنس، فلا يصدر هذا السؤال من المؤمن.

والشيطان كيده ضعيف؛ أقوى أسلحته هذه الوسوسة، كما جاء في مسند أحمد وغيره، أن

الرسول ﷺ قال لمن وجد هذه الوسوسة في قلبه: "الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة" ¹

هذا أقصى ما عند إبليس؛ الوسوسة، ولكن هذه الوسوسة خطرها عظيم على القلب، خصوصاً عند الجاهل وضعيف الإيمان، فإنه يُخشى عليه أن ينحرف عن دينه بسببها. أما المؤمن القوي في إيمانه فإنه ينكرها، ويتعاضم أن يسأل هذا السؤال، كما صحّ عن الرسول ﷺ أنه قال لمن وجد ذلك، قال "ذاك محض الإيمان"، وقال: "ذاك صريح الإيمان". كلاهما عند مسلم (٢٠٩ / ١٣٢) (٢١١ / ١٣٣).

فالمقصود أن الصحابة تعاضموا أن يسألوا ذلك السؤال، وهذا هو صريح الإيمان وقوة الإيمان، هذا ما عليه كثير من شُراح الحديث؛ كالقاضي عياض والخطابي والنووي وابن باز وغيرهم.

إذن الأصل: ترك هذا السؤال وأن لا يُلتفت إليه، ولكن من قوي عنده هذا الوسواس فعليه بالعلاج بالأمور الآتية:

● أولاً: الانتباه.

هذا لقوله ﷺ: "**ولينته**"، أي؛ وليعرض عن هذا الأمر من غير استدلال ولا نظر في إبطاله. لأنه مجرد وسواس، والوسوسة لا تنقطع إلا بالإعراض عنها، أما الشُّبه الحقيقية فلا تنقطع إلا بالأدلة من الكتاب والسنة، فالفرق كبير بين الوسوسة والشبهات.

فإن الوسوسة. كهذا السؤال. ينكرها العقل والنقل:

■ أما العقل؛ فيدلّ أن لكل شيء أول، ولا بد أن تنتهي الأشياء إلى أول لا شيء قبله، وإلا وقع التسلسل إلى ما لا نهاية، وهذا. أي؛ التسلسل إلى ما لا نهاية. باطل، لأنه نفْي للخالق في الحقيقة، لأنه لا يوصل إلى خالق لكل شيء، التسلسل لن يوصلنا إلى الخالق سبحانه وتعالى، لأنه كلما قيل شيء سيُقال: "من خلق هذا الشيء؟"، فلو قيل أنه يوجد خالق قبل الله سبحانه؛ سيُقال: فمن خلق هذا الخالق؟ وهكذا لن ينقطع السؤال، ولن نقف عند حدّ.

ولكن الحق الذي يقرره العقل؛ أنه لا بد من الانتهاء إلى مُوجدٍ قديم لا يتقدّمه شيء ولا يصحّ

1 - أخرجه أحمد: (٢٠٩٧) وأبو داود: (٥١١٢) والنسائي في الكبرى: (١٠٤٣٤) - 17 -

عَدَمُهُ؛ وهذا هو الله تبارك وتعالى.¹

■ وأما من النقل؛ فقد قال الله تبارك وتعالى عن نفسه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾² وقد فسرها النبي ﷺ في حديث عند (مسلم ٢٧١٣) بأن: "الأول الذي ليس قبله شيء". وهذا التفسير يكفي المؤمن،

أما الجواب العقلي الأول فهو للملحد الذي ينكر الخالق سبحانه. وأيضا قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾³ قال المفسرون: أي إليه وحده المرجع، وإليه وحده المصير، لا إلى غيره، وفهمنا الحصر من تقديم ما حقه التأخير، لأن أصل الكلام: (وأن المنتهى إلى ربك)، فلما قَدِّمَ شبه الجملة وقال ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾؛ فهذا أسلوب من أساليب الحصر، لذلك قلنا إن معنى الآية: إليه وحده المرجع. فدلّت الآية أنه لا ربّ غيره ولا خالق غيره، لا قبله ولا بعده، فهو المستحق للعبادة دون سواه.

فثبت بما تقدم؛ أن هذا السؤال باطل فاسد، فوجب الانتهاء عنه.

● ثانيا: بالتعوّذ بالله من الشيطان.

فمن غلبه شيطانه، ولم يَنْتَهِ عن التفكير في هذا السؤال فينتقل إلى العلاج الثاني، وهو اللجوء إلى الله، والاستعاذة به من الشيطان، عملا بقوله ﷺ: "وليسْتَغْدِ بالله"، وفي رواية قال ﷺ: "يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ثُمَّ لِيَتَفَلَّ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلَيْسْتَغِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ".⁴

هذه هي السنة في مثل هذه الوسوسة، لأن مصدر هذا السؤال هو الشيطان، كما أخبر النبي ﷺ، وقد أنزل الله "سورة الناس" في الاستعاذة من شر الوسواس الخناس.

¹ - (ذكرت ذلك باختصار عن الحافظ ابن حجر بمعناه من "الفتح" (١٣/ ٢٧٤) عند شرح هذا الحديث (٧٢٩٦).

² - [الحديد: ٣]

³ - [النجم: ٤٢]

⁴ - أخرجها أبو داود: (٤٧٢٢)، والنسائي في الكبرى: (١٠٤٢٢) واللفظ له، وصححها الألباني في الصحيحة: (١١٨).

● ثالثاً: بالإيمان بالله ورسله.

وهذا في الحقيقة أقواها وأنفعها، فإن الإيمان بالله ورسله يقتضي تصديق ما أخبر الله به ورسوله؛ بأنه الأول الذي ليس قبله شيء. وقوة الإيمان بأن الله خالق الكون لا خالق سواه تدفع هذا الوسواس، لأن الله تبارك وتعالى لا تحيط به العقول، وكيف تحيط به العقول القاصرة المخلوقة، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾¹

فمن آمن بهذا فإنه يتوقف عن التفكير فيما لا يدركه عقله ولن يدركه، ويُسلّم بكل أمور الغيب، لأن دين الإسلام مبني على الاستسلام والانقياد.

والسبيل إلى تقوية هذا الإيمان؛ بطلب العلم النافع، والعمل الصالح، فإن من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ومخلوقاته، وآياته السمعية والكونية، ثم عبده سبحانه بمقتضى ذلك؛ فإنه لا يدخل عليه الشيطان بمثل هذه الوسواس الباطلة.

فمن بقي عنده شيء من هذا الوسواس بعد كل هذا. ولا أظنه يبقى. فعليه حينئذ بسؤال أهل العلم، لأنه لما حصل مثل هذا لبعض الصحابة ذهبوا إلى رسول الله ﷺ، فأجابهم بما يزيل هذا الوسواس، كما تقدم بيانه.

وهكذا؛ فهذا الحديث برواياته المتعددة في الصحيحين وغيرهما هو حديث جامع لعلاج أنواع الوسوسة كما قلنا، سواء كانت من شياطين الجن، أو شياطين الإنس الذين ينكرون الخالق سبحانه وتعالى، فيجب عدم السماع لهم، وعدم الالتفات إلى كلامهم، وألاً ننقل كلامهم قيد أنملة، نعوذ بالله منهم.

هذا وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



أسئلة الدرس الرابع:

● السؤال الأول: - ما السبيل إلى تحقيق الاستقامة؟

الجواب: باستقامة القلب واللسان.

وهذا يحتاج الى حفظ القلب من الشهوات والشبهات بالعلم النافع والعمل الصالح، وحفظ اللسان مما يغضب الله.

● السؤال الثاني: قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت: 6] فسر الآية.

الجواب: أمرنا الله بالاستقامة، لكن المستقيم ليس معصوماً، فمن زل وجب عليه أن يتوب ويستغفر ولا يصبر. ثم تواعد من ترك الاستقامة وأصر على المعصية فقال (وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ).

● السؤال الثالث: قال ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، فإن قيل لك إن الذي لا

يسلم المسلمون من لسانه ويده كافر بدلاله هذا الحديث، ولقوله ﷺ: "وان صام وصلى وزعم انه مسلم"، فبماذا تجيبه؟

الجواب: المراد من هذا الحديث تحقيق كمال الاسلام الواجب، فالذي لا يسلم المسلمون من لسانه ويده يأثم ولا يكفر إلا بنقض أصل الاسلام، لأن الاجماع منعقد عند اهل السنه على ان المعاصي لا تخرج من الملة، إلا إذا استحلها أو إذا كانت ناقضا من نواقض الاسلام في ذاتها.

● السؤال الرابع: ما المراد من قوله ﷺ: "المؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم"، وقوله:

"المهاجر من هجر ما نهى الله عنه"، وقوله: "المجاهد من جاهد نفسه"؟

الجواب: المراد الحض على الكمال الواجب في هذه الأمور، وأن من نزل بها عن الحد الواجب يأثم، بدليل حديث "أي الاسلام أفضل" وحديث: "أي المسلمين خير" فقال ﷺ: "الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده"، فهذا أفضل الإسلام، وهذا خير المسلمين، أي من أتى بالواجب كاملاً.

• السؤال الخامس: قال ﷺ: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا"، ما المراد بقوله: "كان

منافقا خالصا"؟

الجواب: أي كان منافقا خالصا في هذه الخصال المذكورة فقط وليس المقصود النفاق الأكبر.

• السؤال السادس: عرف النفاق في اللغة وفي الشرع.

الجواب: النفاق في اللغة هو: "أن يظهر المرء خلاف ما يبطن".

وفي الشرع هو: "أن يظهر الخير ويبطن الشر".

وهو نفاقان: أكبر وأصغر.

- النفاق الأكبر هو: "نفاق التكذيب"، وحقيقته أن يعتقد الكفر ويظهر الإسلام، وهذا الصنف خارج عن الملة.

- والنفاق الأصغر هو: "نفاق العمل"، وحقيقته أن يتصف المسلم بإحدى صفات المنافقين من جهة العمل وليس من جهة الاعتقاد، وهذا الصنف لا يخرج من الملة.

• السؤال السابع: ما هو ضابط إخلاف الوعد الذي يعتبر من النفاق؟

الجواب: هو أن يعد وهو يحدث نفسه أن يخلف، أو أن ينوي أن يفى ثم يخلف بلا عذر.

• السؤال الثامن: قال ﷺ في علامات المنافق: "إذا خاصم فجر"، ما معنى فجر؟

الجواب: معناه: "مال عن الحق الى الباطل".

• السؤال التاسع: جاءك رجل وقال لك (من خلق الله؟) بماذا تجيبه؟

الجواب: أجيبه بما يلي:

أولا: بحديث رسول الله ﷺ وهو قوله: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟

حتى يقول من خلق الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته". وفي لفظ "فليقل آمنت بالله ورسله".

ثانيا: أبين له معنى هذا الحديث، ومعناه أنه يجب عليه الانتهاء والتعوذ والإيمان.

■ الانتهاء عنه: أي ترك التفكير فيه لأنه باطل عقلا ونقلا.

أما عقلا: فلأنه لو قيل يوجد خالق قبل الله سيقال فمن خلق هذا الخالق؟ وهكذا لن ينقطع السؤال، فدل هذا أن السؤال فاسد من أصله.

وأما من النقل فقال الله تعالى عن نفسه: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾، قال الرسول ﷺ في معناها: "اللهم إنك الأول فليس قبلك شيء".

وقال تعالى: ﴿وَأَن إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾. أي المصير إليه وحده، والخلق وله وحده، فلا شيء قبله ولا شيء بعده.

■ بالاستعاذة: لقوله ﷺ: "وليستعذ بالله"، وأفضل ما يتعوذ به المعوذتان؛ الفلق والناس.

■ ثالثا بالإيمان بالله ورسله: لقوله ﷺ: "قل آمنت بالله ورسله". فإن قوة الإيمان بأن الله متفرد بالخلق تدفع هذا الوسواس وتثبت أن لا خالق سواه لا قبله ولا بعده سبحانه وتعالى.

◻◻◻◻◻ والحمد لله رب العالمين ◻◻◻◻◻